قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (6)، مارس 2021م. ص423-383

© 2021 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

الهدايات القرآنية في سورة البروج دراسة تأصيلية تطبيقية(*)

أسامة شاهين العداسي [1]

(Qur'anic Guidance in Surat Al-Buruj : An Applied Fundamental Study)

Osama Shaheen Mohammad AlAddasi

ABSTRACT

This article uses analytic and thematic analysis to study Surat Al-Buruj. It aims to build the Surah's thematic unity and to reach the general fundamentals of understandings. The study aims to extract the guides of the partial and total Surah in order to reach the overall purpose and the special guiding message. The study first presents a general definition of the Sura, and then combines between the theoretical and the practical sides to build the objective unity of the Surah. The study applies methodology on the whole Sura. Having analyzed the verses and passages of the surah, the research concluded that the Surat can be divided and combined into partial themes, and messages distinguishing Surat Al-Buruj from the rest of the Qur'anic surahs. . The study shows the stylistic and objective characteristics as well as guidance of the Surat.

Keywords: *Surat Al-Buruj, Qur'anic guides, stylistic characteristics, thematic unity, general theme, overall purpose.*

(*) This article was submitted on: 15/11/2018 and accepted for publication on: 9/02/2021

1 دكتوراه التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الأردنية – عمان–الأردن

ملخص

تناول هذا البحث سورة البروج بدراسة تحليلية موضوعية؛ بهدف بناء وحدة السورة الموضوعية والوصول إلى محورها العام، ومن ثم استنباط هدايات السورة الجزئية والكلية، وصولاً إلى مقصدها الكلي ورسالتها الهدائية الخاصة. قدمْتُ بين يدي دراستي للسورة تعريفاً عاماً بها كمدخل للبحث، وقد جمعْتُ في هذه الدراسة بين الجانب النظري والجانب التطبيقي؛ من خلال بيان منهجية بناء وحدة السورة الموضوعية، ثم تطبيق مفردات تلك المنهجية على سورة البروج. وقد خلص البحث بعد تحليل آيات السورة ومقاطعها إلى محور واحد يجمع موضوعاتها الجزئية، ورسالةٍ خاصة تميزت بها سورة البروج عن باقي السور القرآنية، بخصائصها الأسلوبية والموضوعية، ورسالتها الهدائية.

كلمات دالَّة: سورة البروج، الهدايات القرآنية، الخصائص الأسلوبية، الوحدة الموضوعية، المحور العام، المقصد الكلي

1- مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فهذا بحث حول الوحدة الموضوعية لسورة البروج، وقد جعلته دراسة تجمع بين جانبيها النظري والتطبيقي؛ إذ ابتدأت ببيان المنهجية التي سرت عليها في بناء الوحدة الموضوعية، ثم سرت بتطبيق الخطوات الإجرائية، للوصول لموضوع السورة ومحورها العام.

وقد بينت مجموع العناصر التي تشكل موضوع السورة القرآنية، ولم أبدأ بوضع المنهجية ثم انتقلت للتطبيق، بل كان بناء المنهجية هدفاً مقصوداً لذاته في جميع مراحل الدراسة،

فابتدأت بوضع تصور عن المنهجية التي سأسير عليها، ثم بدأت بالتطبيق، فإذا بدا لي طريق آخر أصح من الذي اخترت، عدلت المنهجية ثم أكملت المسير، وهكذا إلى نهاية البحث.

ولا أدعي بذلك أني وصلت لما لا رأي بعده، هيهات، فلا أكاد أنظر مرة بعد مرة إلا وأغير وأبدل، وهكذا هو العلم، وحسبي أني سلكت الطريق قدر اجتهادي وطاقتي، ولا شك عندي أن تجربتي القادمة ستكون أفضل وأكمل وأجمل. أسأله تعالى أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل.

وقد بحثت عن الدراسات السابقة التي خصت سورة البروج بدراسة موضوعية متكاملة، وحاولَتْ الوصول لوحدتها الموضوعية، فوجدت نوعين من الدراسات، كالآتي:

- التفاسير قديمها وحديثها، أثناء تفسيرها لسورة البروج.
- دراسات وأبحاث ورسائل خصت سورة البروج بالدراسة الموضوعية.

ولن أذكر النوع الأول هنا، باستثناء من كانت دراسته في تفسيره دراسة موضوعية، بالإضافة للدراسات من النوع الثاني، وقد وجدت أربعة دراسات، وكلها معاصرة:

- تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي، وقد تناول السورة وربط بين أجزائها، وحاول تشخيص وحدتها الموضوعية وغرضها العام.
- دراسة الشهيد سيد قطب لسورة البروج وقد وجدته في تفسيره "في ظلال القرآن"، وفي كتابه "معالم في الطريق" ضمن فصل كامل تحت عنوان: "هذا هو الطريق"، وقد كان تعقيباً على قصة أصحاب الأخدود في السورة، ويحتوي على كثير من الإشارات الموضوعية لسورة البروج.
- كتاب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم التابع لمؤتمر الشارقة والذي أشرف عليه أ. د. مصطفى مسلم وبمشاركة فريق بحثي كبير، وقد تناول هذا المشروع سورة البروج من ضمن دراسته؛ فعرَّف بها، وبين محورها العام، وربط بين موضوعاتها الفرعية.

- الباحث إبراهيم البشير، وقد قدم بحثاً تكميلياً لنيل درجة الماجستير بعنوان: (سورة البروج دراسة تحليلية موضوعية) في جامعة المدينة العالمية – ماليزيا، عام 2011م
- الباحثة منى الطريلي، وقد قدمت دراسة خاصة بسورة البروج تحت عنوان: (سورة البروج دراسة تحليلية موضوعية) نالت الباحثة به درجة الماجستير في علوم القرآن والتفسير من جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي – الجزائر، عام 2014م.

أما عن سبب كتابتي في ميدان الوحدة الموضوعية في سورة البروج وقد كتب فيهن فكان ذلك لسببين:

الأول: أن دراستي هذه احتوت على جانب نظري في منهجية بناء الوحدة الموضوعية، وتطبيق ذلك كخطوات وإجراءات عملية على سورة البروج.

الثاني: أن جميع من كتب في الدراسات التي ذكرتها كان يورد الوحدة الموضوعية للسورة في بداية دراسته، ثم يسوق الأدلة التي تدعم رأيه، ولا يعني بالضرورة أن رأيه خاطئ، ولكني لم أرد أن أسير على نفس الطريقة ابتداء، بل أردت أن يكون الوصول لمحور السورة العام نتيجة وثمرة للبحث، وليس مقدمة تعطى في البداية ثم يبنى عليها ما بعدها.

الثالث: أني أخالف كثيراً من الإجراءات المتبعة في الدراسات السابقة؛ في تبسيط الدراسة الموضوعية للسورة، وجعلها من دون ضوابط محكمة وإجراءات منهجية، بل كانت كلاماً عاماً – في معظمها – يصلح لأي نص ويصل لأي نتيجة. اللهم إلا ما وجدته عند سيد قطب وخاصة في كتابه "معالم في الطريق" فقد كان في غاية الإحكام والروعة، إلا أنه ذكر النتيجة دون طريقة الوصول إليها، وهذا ما أردت أن يكون إضافة جوهرية في عملي من خلال هذه الدراسة.

اقتضت هذه الدراسة أن تكون في تمهيد ومبحثين وخمسة مطالب، كالآتي:

التمهيد: منهجية بناء الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

المبحث الأول: التعريف بسورة البروج وبناء وحدتها الموضوعية. (وفيه ثلاثة مطالب).

المبحث الثاني: بناء الشجرة الموضوعية لسورة البروج. (وفيه مطلبان).

والله الموفق والهادي سواء السبيل.

2- منهجية بناء الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

تبنى الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من خلال مجموعة من العناصر، والتي يمكن تقسيمها إلى مجموعتين؛ عناصر أساسية وأخرى ثانوية، ويمكن تفصيلها كالآتي:

عناصر بناء الوحدة الموضوعية:

أولاً: العناصر الأساسية: وهي الدراسة الأسلوبية والموضوعية للسورة القرآنية.

وتتم من خلال تقسيم السورة إلى مقاطع رئيسة وفرعية، ثم بدراسة كل مقطع موضوعياً وأسلوبياً لبيان الرسالة المقصودة منه، والغاية التي يؤديها، ودراسة زاوية عرض الموضوع، وطريقة بناء المشهد والخصائص التعبيرية المستخدمة، والتركيزات الموضوعية والأسلوبية، والأفكار المؤكدة، والألفاظ والتراكيب والمشاهد الفريدة.

وتهدف الدراسة الأسلوبية والموضوعية لمقاطع السورة لثلاثة أهداف متتابعة:

- الخروج بتوصيف مختصر عن كل موضوع جزئي.
- ربط موضوعات السورة الجزئية ببعضها البعض، وبيان مستويات الترابط؛ بتقسيم الموضوعات إلى موضوعات أساسية وموضوعات فرعية، وبيان العلائق بينها.
- تشكيل الموضوع المحوري الذي تدعمه جميع موضوعات السورة ببناء متكامل، ولتحقيق غاية واحدة.

ثانياً: العناصر الثانوية: وهي أربعة عناصر، كالآتي:

اسم السورة، ومقدمة السورة، الآية أو الآيات المحورية، خاتمة السورة.

وقد عددت هذه العناصر مما يشكل بناء الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، لأن كلاً منها يربطه بموضوع السورة رابط مباشر، فالاسم التوقيفي للسورة ما سميت السورة به إلا

لتضمنه جانباً من موضوع السورة العام، وكذلك المقدمة والخاتمة؛ إذ بهما يكون التمهيد والافتتاح للموضوع، والتعقيب والاختتام له.

أما الآية أو الآيات المحورية فهي – في حال وجودها – يكون ارتباطها مباشراً بالمحور الأساس الذي تدور حوله باقي المحاور، ويمكننا التعرف على الآيات المحورية من خلال الدراسة الموضوعية والأسلوبية التي سبقت في العناصر الأساسية، فتكون طريقة التعبير عنها تدل عليها، ولا أدعي وجودها في جميع السور، لكني أدعي إمكانية وجودها في بعض السور، والبينة على من ادعى.

والفرق بين العناصر الثانوية والعناصر الأساسية أن العناصر الأساسية يمكن بالاعتماد عليها فقط الخروج بالنتيجة المرجوة والوصول للوحدة الموضوعية للسورة، أما العناصر الثانوية فلا يمكن استقلالها بالوصول لموضوع السورة.

عدا عن كون العناصر الأساسية متضمنة لمعظم العناصر الثانوية، فالمقدمة والخاتمة والآيات المحورية هي جزء من الدراسة الأسلوبية والموضوعية، وإنما جعلتها في العناصر الثانوية أيضاً، لوجود زيادة مزية لها عن باقي فقرات ومقاطع الآية؛ وهي ارتباطها بموضوعها العام بشكل مباشر كما ذكرنا.

وأنوه إلى أن عملية بناء الوحدة الموضوعية تتعاضد وتتداخل فيها العناصر الأساسية والثانوية معاً، والتفريق بينما رتبي وليس تفريقاً مرحلياً أو زمنياً.

والآن.. إلى الدراسة التطبيقية.

3- التعريف بسورة البروج وبناء وحدتها الموضوعية

قمت في هذا المبحث ابتداء بالتعريف بسورة البروج، ثم بتطبيق الخطوات المنهجية لبناء الوحدة الموضوعية للسورة، من خلال الدراسة النصية التحليلية المباشرة، وتكوين عناصر بناء محور السورة العام، ويعتبر هذا المبحث هو الأساس الذي يبنى عليه ما بعده. والثمرة النهائية له هي الخروج بتوصيف مختصر واضح المعالم لموضوع سورة البروج ومحورها العام.

وموضوع السورة أو محورها العام؛ هو ذلك الموضوع الأساس الذي تدور كل موضوعات السورة الجزئية حوله، وتتكاتف مشاهد السورة لبيانه. ويُعبَّر عنه بجملة أو فقرة وصفية إخبارية،

تعرض محاور السورة الرئيسة باختصار، وتبين المناسبة بينها والعلائق التي تجمعها، وتربط بين موضوعاتها وأجزائها.

ويتشكل بناء الوحدة الموضوعية من مجموعة من العناصر الأساسية والثانوية، التي تتعاضد مع بعضها البعض، وتكوّن بمجموعها محور السورة الرئيس وموضوعها الأساس.

قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب؛ جعلت المطلب الأول للتعريف بسورة البروج بشكل عام، ثم انتقلت في المطلب الثاني لتقسيم السورة إلى مقاطع رئيسة وفرعية، وتعتبر هذه الخطوة هي أولى الإجراءات العملية في بناء الوحدة الموضوعية، وفي المطلب الثالث تناولت الدراسة التحليلية للسورة وتطبيق عناصر بناء الوحدة الموضوعية، وتسجيل جميع الملاحظ الموضوعية والأسلوبية.

1.3- تعريف عام بسورة البروج

سميت سورة البروج بهذا الاسم في جميع المصاحف، فهو اسم توقيفي لها، كما ورد تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لها بسورة "السماء ذات البروج"، ذلك فيما رواه جابر بن سمرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يقرأُ في الظهرِ والعصرِ: بـ (السماءِ ذاتِ البروجِ) و (السماءِ والطارقِ) وشِبْهِهِما[2].

عدد آياتها اثنتان وعشرون آية، وقد ذكرها الإمام السيوطي في القسم الأول من السور التي لم يختلف في عدد آياتها لا إجمالاً ولا تفصيلاً، وهي أربعون سورة، منها: سورة البروج؛ اثنتان وعشرون[3].

وهذه السورة مكية بالاتفاق، يقول الآلوسي: (لا خلاف في مكيتها ولا في كونها اثنتين وعشرين آية)[4]. ويقول ابن عاشور: (وسُمِّيَتْ في المصاحِفِ وكُتُبِ السُّنَّةِ وكُتُبِ التَّفْسِيرِ (سُورَةُ

2 رواه الترمذي [307]، وقال حديث حسن صحيح. وابن حبان [1827]. والنسائي [978] وقال الألباني: حسن صحيح.

3 انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م) 190/1

4 الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ت: 1270هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ)84/30

البُرُوجِ)، وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِاتِّفاقٍ. ومَعْدُودَةٌ السّابِعَةَ والعِشْرِينَ في تَعْدادِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ (والشَّمْسِ وضُحاها) وسُورَةِ (التِّينِ)، وآيُها اثْنَتانِ وعِشْرُونَ آيَةً)[5].

وقد ذكر الإمام الزركشي – من قبل – أنها نزلت بعد سورة الشمس وقبل سورة التين[6].

ويؤكد ذلك الدكتور محمد رأفت سيد صاحب كتاب "تاريخ نزول القرآن الكريم"[7].

تقع سورة البروج في ترتيب المصحف بعد سور الانشقاق وقبل سورة الطارق، فهي السورة الخامسة والثمانون من سور القرآن الكريم.

لم يرد لسورة البروج فضل خاص دون باقي السور، عدا ما ورد من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لها مع سورة الطارق وما شابههما من السور في صلاتي الظهر والعصر – كما مر في الحديث سابقاً –.

2.3– تقسيم السورة إلى مقاطع رئيسة وفرعية بحسب موضوعاتها

آيات السورة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج: 1-22]

---

5 ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت: 1393هـ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م)236/30

6 انظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ – 1957م) 193/1

7 انظر: سعيد، محمد رأفت، تاريخ نزول القرآن الكريم (لم أجد تفاصيل طبعة الكتاب) ص213، 219

بعد قراءة فاحصة لآيات السورة الكريمة، رأيت تقسيمها إلى: مقدمة وثلاثة مقاطع رئيسة، وخاتمة. والتفصيل كالآتي:

- **مقدمة السورة: الآيات من 1 – 3**

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ٣﴾ [البروج: 1-3]

- **المقطع الرئيس الأول: الآيات من 4 – 9، ويتكون من مقطعين فرعيين:**
  - المقطع الفرعي الأول: الآيات من 4 – 7

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ٧﴾ [البروج: 4-7]

  - المقطع الفرعي الثاني: الآيات من 8 – 9

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ٩﴾ [البروج: 8-9]

- **المقطع الرئيس الثاني: الآيات من 10 – 11**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ١١﴾ [البروج: 10-11]

- **المقطع الرئيس الثالث: الآيات من 12 – 20، ويتكون من مقطعين فرعيين:**
  - المقطع الفرعي الأول: الآيات من 12 – 16

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج: 12-16]

- المقطع الفرعي الثاني: الآيات من 17 - 20

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠﴾ [البروج: 17-20]

- **خاتمة السورة: الآيات من 21 – 22**

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج: 21-22]

2.3- دراسة السمات الأسلوبية والموضوعية وتسجيل الملاحظ

سأقوم من خلال هذا المطلب بدراسة كل مقطع من مقاطع السورة أسلوبياً وموضوعياً بشكل مستقل، بحسب تقسيم المقاطع الذي تم في المطلب السابق، وتسجيل جميع الملاحظ التي يتبدى لنا من خلالها بيان موضوع المقطع بشكل خاص أو السورة بشكل عام.

- **أولاً: مقدمة السورة: الآيات من 1 – 3**

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج 1-3]

أقسم الله تبارك وتعالى في مقدمة السورة بأربعة أشياء:

1. السماء: وقد خصها بوصف ذات البروج، ولم يتكرر هذا الوصف للسماء بأنها (ذات البروج) إلا في هذا الموطن، مما يشير لنا بخصوصية هذا التعبير في هذه السورة، وبالتالي اعتباره عنصراً مؤثراً في موضوع السورة العام، وذلك لعدة اعتبارات:
   - الأول: أنه الاسم التوقيفي الذي تسمت به السورة.

- الثاني: أنه ورد في مقدمة السورة وفي أول آية منها. وكما ذكرنا – سابقاً – أن اسم السورة ومقدمتها من العناصر التي يمكن أن يستفاد منها لبناء وحدتها الموضوعية.
- الثالث: أن وصف السماء بـ (ذات البروج) لم يتكرر في غير هذا الموطن من القرآن الكريم، فيعد من التراكيب الفريدة.

2. يوم القيامة: وقد عبر عنه هنا بوصف (اليوم الموعود)، وهذا الوصف فيه تركيز على قضية الوعد، وانتظار تحقق ذلك اليوم، باعتبار يوم القيامة يوماً يكون فيه الحساب والجزاء، وتحقيق الوعد الإلهي بإكرام المؤمنين وتعذيب الكافرين.
3. الشاهد: وقد ذكر العلماء أقوالاً عدة لمعنى الشاهد؛ منها أنه يوم الجمعة، أو يوم عرفة، أو يوم الأضحى، أو الإنسان، أو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو الله عز وجل[8]. ولكن بالرجوع للأسانيد التي ذكرت ذلك فلم ترد هذه الأقوال بطريق قطعي، وإنما هي اجتهادات وآراء، وذلك بدليل ورود هذه الأقوال جميعها عن الصحابة الكرام، وربما تجد الصحابي الواحد يرد عنه أكثر من قول في المسألة الواحدة.

ولا نستطيع – في هذه المرحلة – معرفة معنى الشاهد بما يتناسب مع سياق الآيات، وإنا يتبين لنا ذلك بعد أن نقطع شوطاً في دراسة موضوع السورة ومقصودها، حينها نكون أقدر على بيان دلالة اللفظ بصورة أفضل.

ولكننا نلحظ من كلمة (شاهد) تسليط الضوء على عملية شهود تتم من جهة معينة على جهة أخرى، ونقف إلى هذا الحد إلى أن تكتمل الدراسة.

4. المشهود: وقد ذكر العلماء قولين لمعنى المشهود؛ أنه يوم عرفة، أو يوم القيامة. وكسابقتها لا تعدوا هذه الأقوال إلا أن تكون آراء اجتهادية، وسنتبين من دلالة اللفظ بصورة أوضح عندما تكتمل الدراسة. ولكننا – أيضاً – نلحظ من كلمة (مشهود) تسليط الضوء على عملية شهود تتم على جهة معينة من

8 انظر: الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن (تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م) 336/24

جهة أخرى. كما نلحظ تكرار مادة (شهد) في لفظين متتاليين وفي آية واحدة وفي مقدمة السورة، خاصة وأن القسم قد وقع على كلا اللفظين، مما يفيد أهمية المقسم عليه، ويضع أمامنا جانباً قد يفيدنا في بناء موضوع السورة.

- **المقطع الرئيس الأول: الآيات من 4 – 9، ويتكون من مقطعين فرعيين:**
  - **المقطع الفرعي الأول: الآيات من 4 – 7**

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧﴾ [البروج: 4-7]

يتحدث هذا المقطع عن قصة فئتين من الناس، فئة ظالمة مستبدة، قامت بتعذيب فئة أخرى مؤمنة مستضعفة، وكانت صورة العذاب شنيعة فظيعة، إذ حفروا لهم الأخاديد، وأوقدوا فيها ناراً عظيمة ذات وقود، أي أنها لا تنطفئ بل يزيد لهبها اشتعالاً، وألقوا المؤمنين فيها، وقعدوا ينظرون إليهم بخسة ونذالة، يشهدون تعذيبهم واحتراقهم بالنار.

وجدير بالذكر أن هذه القصة يرجح أنها المقصودة بالقصة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المعروف بقصة أصحاب الأخدود، ولا داعي لذكره هنا، وإنما نحيل عليه[9].

ويمكننا من خلال هذا المقطع تسجيل الملاحظ الآتية:

- لم تتكرر هذه القصة في القرآن الكريم أبداً، ولم تذكر إلا في هذا الموطن، مما يفيد خصوصية لإبراز هذا المشهد والدور الذي يؤديه في هذا السياق بالتحديد.
- لفظ (قتل) يفيد أحد أمرين؛ إما الإخبار بأنهم قتلوا، وإما الدعاء عليهم بالقتل، فأما الإخبار فلم يرد في القرآن أو السنة أو الآثار خبراً بأنهم قتلوا أو تم الانتقام منهم، وبالتالي يرجح أنها جملة إنشائية دعائية، كما

9 انظر: الترمذي [3340] وقال الألباني: حديث صحيح

ذكر ابن عباس، وهو قول جمهور المفسرين[10]، ولكنها في حق الله تبارك وتعالى ليست دعاء، وإنما وعيد شديد بالانتقام، وهنا نلحظ تأكيد أمر الانتقام، وتحقيق وعيد الله تعالى على الظالمين.

- التعبير عن الفئة الظالمة بوصف (أصحاب الأخدود) يفيد لفت الانتباه أن الأمر المقصود من ذكر قصة هذه الفئة هو ما قاموا به من تعذيب المؤمنين، فصار هذا الوصف بمثابة اسم لهم يعرفون به، وفي ذلك زيادة تشنيع عليهم من جهة، ومن جهة أخرى تعظيم أمر الأخاديد والنار والعذاب الذي جعلوه للمؤمنين، فكان أمراً مهولاً يعرفون به.
- لفظ (النار) باعتبارها بدلاً من (الأخدود) يؤكد ما قلناه في النقطة السابقة، والمعنى (أصحاب النار) وهي النار التي أوقدوها للمؤمنين، سُمُّوا بها لعظمها وتشنيعاً لهم، وفي ذلك تعريض بهم أنهم سيكونون أصحاب النار في الآخرة.
- زيادة وصف (ذات الوقود) يفيد نفي انطفاء النار، إذ إن النار لا تخشى من شيء سوى انطفاء شعلتها، فجاء هذا اللفظ لينفي عنها ما تخشاه، مما يفيد ناراً عظيمة مهيبة لا تنطفئ، وعذاباً للمؤمنين ليس فوقه عذاب.
- جملة (إذ هم عليها قعود) تدل على التذاذ الفئة الظالمة المستبدة بعذاب المؤمنين، وما أشنع فعلتهم، فهم قعود أمام منظر المؤمنين والنار تأكل وجوههم وأجسادهم، وفي إظهار الضمير (هم) زيادة تشنيع بفعلهم، وفي شبه الجملة (عليها) دليل استكبارهم وعلوهم وتبجحهم.
- جملة (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) تفيد أنهم شاهدون على عذاب المؤمنين، ونسجل هنا ملاحظ هامة:

---

10 انظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ) 729/4. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964م) 286/19

1. مضمون هذه الجملة مفهوم من جملة (إذ هم عليها قعود) ولا يكون قعودهم إلا بشهودهم على تعذيبهم، فلماذا كرر أو أكد أمر شهودهم عليهم؟
2. تكرار مادة (شهد) ثلاث مرات خلال هذه الآيات القليلة، في كلمات: (شاهد، مشهود، شهود)، وفي أكثر من مقطع – مما يدل على دور قضية الشهود في بناء موضوع السورة.
3. التعبير عن شهودهم لعذاب المؤمنين بجملة مؤكدة طويلة نسبياً، فقد ذكر في سابقتها: (إذ هم عليها قعود) ولم يقل هنا: (وهم عليها شهود).
4. أضاف في هذه الآية الفئة الثانية المستضعفة، ووصفها بوصف الإيمان، مما يزيد شناعة وغرابة فعل الظالمين، إذ كان عذابهم لهم بسبب إيمانهم، وهو ليس بالجرم الذي يعذب صاحبه، فكيف بهم وقد أذاقوهم أشد أنواع العذاب وأكثرها فظاعة وشناعة!؟

- **المقطع الفرعي الثاني: الآيات من 8 – 9**

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج: 8-9]

يذكر هذا المقطع تعقيباً على قصة أصحاب الأخدود سالفة الذكر، وقد بين سبب تعذيبهم للمؤمنين، أنه ما كان إلا لإيمانهم بالله تعالى، ثم ذكرت الآيات أربع صفات لله تعالى؛ العزيز، الحميد، وأن له ملك السماوات والأرض، وأنه على كل شيء شهيد. وتستوقفنا هذه الصفات في هذا السياق، مما يُظهر نوعَ تعارضٍ مع ما سبق من قصة أصحاب الأخدود!

(العزيز): هو صاحب العزة والقدرة الذي لا يغلب، وبالرغم من ذلك فجنده المؤمنون يعذبون بسبب إيمانهم به ولا ينتقم لهم، فلا تظهر للرائي آثار هذا الاسم بالنظرة العاجلة فيما وقع لعباده المؤمنين، في مثل هذا الحادث الأليم!

(الحميد): لها معنيان؛ الأول: عامٌّ بمعنى اسم المفعول "محمود"، والثاني: خاصٌّ – وهو الذي يفيدنا في هذا السياق – بمعنى: الذي يكافئ على العطاء، ويجازي على فعل الخير. وهو تعالى بالرغم من اتصافه بصفة "الحميد" فإن من آمن به وفعل الخير له، يعذِّب ويقتل، ولا ينتقِم له، – وكذا – لا تظهر للرائي آثار هذا الاسم بالنظرة العاجلة فيما وقع لعباده المؤمنين، في مثل هذا الحادث الأليم!

(الذي له ملك السماوات والأرض): هو جوابٌ لسؤالٍ ذهني، يقول: هو عزيز وحميد، فلعل ذاك الظلم لم يقع في ملكه؟ فيأتي الجواب: بل وقع في ملكه، وهو لا يملك الأرض فحسب، وإنما يملك السماوات كذلك.

(والله على كل شيء شهيد): وهو – أيضاً – جواب لسؤال ذهني، يقول: ربما وقع في ملكه، فلعله لم يعلم به؟ فيأتي الجواب: هو لم يعلم به فحسب، بل رآه وشاهده واطلع عليه!

ونلحظ هنا – أيضاً – تكرار مادة (شهد) للمرة الرابعة في أسطر قليلة، إضافة إلى أسلوب التعبير بهذه الصفة، فقد كان أبلغ من الأوصاف التي سبقته؛ حيث ذكر قبلها: (العزيز) و (الحميد) بكلمة واحدة، بينما هنا لم يقل: (شهيد).

وإنما جاء التعبير مؤكداً بتكرار لفظ الجلالة (الله) الذي يفيد التعظيم والهيبة والجلال، وبإضافة شبه الجملة (على كل شيء) بحرف الجر (على) الذي يفيد العلو والإحاطة من كل جهة، وزيادة (كل شيء) التي تدل على سعة شهوده تعالى لكل شيء دون استثناء، بله رؤيته لذلك الظلم، وهذا الذي ذكرناه – كله – يؤكد ما ذكرناه سابقاً، من أهمية ودور أمر "الشهود" في بناء موضوع السورة.

- **المقطع الرئيس الثاني: الآيات من 10 – 11**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ [البروج: 10-11]

نلحظ من أسلوب التعبير في هاتين الآيتين تقرير قاعدة عامة وسنة ربانية؛ ويظهر ذلك من مجيء التعبير بقول: (إن الذين) في الآيتين، ولفظ (الذين) يفيد العموم، كما أنه جاء

بحرف (إن) الذي يفيد التوكيد، وبقطعه عن السابق من دون حرف عطف، وبصورة التقابل التي تظهر جلياً بين الآيتين، ويؤكد أمر التقابل مجيء الآية الثانية مقطوعة عن الإضافة أيضاً.

وما يقرره هذا المقطع هو بيان مصير فئتين من الناس:

الأولى: الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، وظلموهم وبغوا عليهم، وعذبوهم بسبب إيمانهم، ولم يتوبوا.

الثانية: الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

والمقطع يتحدث عن هاتين الفئتين بمقابل الفئتين المذكورتين في قصة أصحاب الأخدود، ولكن دون تخصيص أولئك المقصودين بتلك القصة، بل جاء التعبير عاماً، ليشمل كل من يصدق عليه وصف الفئتين المذكور. ونلحظ في بيان مصير هاتين الفئتين عدة ملاحظ:

الأول: قصرت الآيتان الحديث عن مصير الفئتين في يوم القيامة، ولم يُذكر عن مصيرهم في الحياة الدنيا أي شيء، فالظالمون المعتدون مصيرهم إلى جهنم وعذاب الحريق، والمؤمنون إلى الجنة.

ثانياً: في مصير الظالمين المعتدين، تكرر أو تأكد العذاب بالنار مرتين، فمرة قال: (لهم عذاب جهنم)، وفي الثانية قال: (لهم عذاب الحريق)، وقد يكون في هذا التأكيد تعريض بالعذاب الذي أوقعه الطغاة في القصة السابقة، إذ حرَّقوا المؤمنين بالنار، والله تعالى سينتقم في الآخرة منهم بالتحريق؛ فكان العذاب من جنس ما عذبوا به المؤمنين.

ثالثاً: نلحظ في مصير المؤمنين أن الآية لم تذكر فئة المستضعفين أو المظلومين أو المضطهدين أو المعذبين، وإنما جاء الوصف عاماً بكل من آمن وعمل صالحاً. وكان المتبادر للذهن وما يقع التقابل به أن تذكر الفئة التي فُتنت عن دينها في مقابل الفاتنين. وكذلك باعتبار القصة السابقة التي ذكرت المؤمنين المظلومين.

رابعاً: نلحظ – أيضاً – في مصير المؤمنين أن الآية عقبت في ختام مصيرهم بـ (ذلك الفوز الكبير)، وهذا التركيب من التراكيب الفريدة لهذه السورة، إذ لم يتكرر في القرآن أبداً، ولم يذكر إلا في هذا الموطن. وقد جاء في القرآن وصف الفوز بـ (العظيم) و (المبين) في آيات عديدة.

- **المقطع الرئيس الثالث: الآيات من 12 – 20، ويتكون من مقطعين فرعيين:**
  - **المقطع الفرعي الأول: الآيات من 12 – 16**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج: 12-16]

يتحدث هذا المقطع عن مجموعة من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى في مقابل ما ورد في السورة من وقوع الظلم على المؤمنين بسبب إيمانهم. ونذكر أمرين متعلقين بهذا المقطع:

- أولاً: في قوله تعالى: (إنه هو يبدئ ويعيد) ذكر المفسرون قولين لمعنى الإبداء والإعادة:

1. أي: يبدئ العذاب في الدنيا، ويعيده في الآخرة. فتكون الآية على هذا وعيداً مباشراً بالعذاب.
2. أي: يبدئ الخلق ابتداء، ويعيده في البعث يوم القيامة، فتكون الآية وعيداً غير مباشر بالعذاب.

- ثانياً: في قوله تعالى: (ذو العرش المجيد) وردت في كلمة (المجيد) قراءتان متواترتان؛ (المجيدُ) بالرفع، على أنها صفة لله تعالى، و (المجيدِ) بالكسر، على أنها صفة للعرش.

وبالنظر لدلالة الآيات الخمسة في هذا المقطع نجد أن الآيتين الأولى والثانية فيهما وعيد وتهديد، والآيتين الثالثة والرابعة فيهما وعد وترغيب، وأما الآية الخامسة فهي محايدة بين الوعد بالانتقام للمؤمنين، والوعيد بالانتقام من الظالمين.

وبمحاولة الربط مع السابق فإن الآيتين الأولى والثانية تتعلقان بالفئة الظالمة الباغية التي ذُكرت في قصة أصحاب الأخدود، وهي الفئة التي فتنت المؤمنين والمؤمنات في أي زمان وأي مكان، وأما الآيتان الثالثة والرابعة فتتعلقان بالمؤمنين عموماً وبالمستضعفين المظلومين منهم بشكل خاص؛ الذين ذُكروا في قصة أصحاب الأخدود، ومَن وقع بمثل ما وقعوا به في أي زمان وأي مكان.

ونضع من خلال هذا المقطع عدة تساؤلات:

- نلحظ مجيء لفظ (ربك) في الآية الأولى، دون غيره من الأسماء، فلم يعبر القرآن بلفظ الجلالة (الله) أو غيره من الأسماء التي تفيد القوة والعظمة والانتقام.

- لماذا جاء الوعيد هنا بصيغة (إنه هو يبدئ ويعيد) دون غيرها من صيغ الوعيد؟
- في قوله تعالى: (وهو الغفور الودود) وعد للمؤمنين والتائبين بالمغفرة من الله، وقد ذكرت الآية صفتي (المغفرة) و (الود) فما سبب ورودهما هنا دون غيرهما من الأسماء والصفات؟
- وفي الآية التالية، قال تعالى: (ذو العرش المجيد) والمجيد هو صاحب المقام العالي والمنزلة الرفيعة، فما السر في وصفه تعالى بـ (ذو العرش) و (المجيد)؟ وعلى القراءة الثانية لماذا وصف العرش بـ (المجيد)؟
- لماذا جيء بقوله: (فعال لما يريد)؟

○ المقطع الفرعي الثاني: الآيات من 17 – 20

قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۝١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠﴾ [البروج: 17-20]

يذكر هذا المقطع مصير فئتين من الظالمين المستكبرين؛ الذين تركز الحديث عنهم في آيات السورة:

الفئة الأولى: في الزمن الماضي السابق لنزول الرسالة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذكرت الآيات نموذجان لهذه الفئة، وهما: فرعون وثمود.

الفئة الثانية: في زمن نزول الرسالة على محمد صلى الله وعليه وسلم وما بعده إلى قيام الساعة، ممثلاً بمن كذَّب رسالة النبي صلى الله عليه وسلم في زمن بعثته، ومن حذا حذوهم إلى قيام الساعة.

ترتبط الآيات في هذا المقطع ارتباطاً مباشراً بالآية التي سبقته؛ (فعال لما يريد)، فجاء بعدها ما يؤكد أنه تعالى فعال لما يريد، ولا يمنعه شيء من إمضاء ما أراده.

وقد ذكرت الآيات مصير الفئة الأولى بطريقة الاستفهام التقريري؛ الذي يؤكد أن الله تعالى قادر على إهلاك الظلمة في الدنيا والانتقام منهم قبل مجيء الآخرة، فهذا فرعون الطاغية المتجبر أهلكه الله وجنده وملأه، وهؤلاء قوم ثمود الطغاة المتكبرون أهلكم الله تعالى شر إهلاك. ونلحظ هنا كيف طوت آية واحدة من كلمتين اثنتين أمر قوتين من أعتى وأصلب الطغاة

المتجبرين على وجه الأرض، ووصفتهم الآيات بـ (الجنود) دلالة على قوتهم وعدتهم وعتادهم، وهذا تعليل ذكر قومي فرعون وثمود دون غيرهم من الأقوام.

ونلحظ كيف ذكرت الآيات إنهاء قوتهم بالاستفهام التقريري، دون الخبر الصريح بالإهلاك، مما ينبئ عن هوان أمرهم وسهولة الانتقام منهم، ودلالة على صغار شأنهم وضعف حالهم وهم (الجنود) أمام قوة الله.

ثم جاء الإضراب (بل) لينتقل بالمشهد إلى الفئة الأخرى، التي عاينت نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويدل الإضراب هنا على جملة ذهنية مقدرة، وكأن قائلاً يقول: (كان المتبادر للذهن بعد أن رأينا قدرة الله تعالى في إهلاك أعتى الظالمين بأهون الأسباب أن ينتهي المكذِّبون عن غيهم وإفسادهم، وكان الأولى بمن سمع رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أن يسارع لإرضاء هذا الإله العظيم) فجاء الإضراب ليجيب: بل الذين كفروا في تكذيب، فهم لم يكفروا به فقط، ولم يكذِّبوا به فحسب، وإنما هم في تكذيب؛ فالوصف بالاسم يدل على عنادهم واستكبارهم، وزيادة الوصف بـ (في) التي تفيد الظرفية، وكأنهم يعيشون في داخل التكذيب وهو محيط بهم من كل جانب، مما يؤكد أن المشكلة بالنسبة لهم ليست في الرسالة، وإنما في أي رسالة لا توافق أهواءهم.

ثم جاء التعقيب على هذه الفئة الحاضرة والمستقبلة بقوله: (والله من ورائهم محيط). وفي لفظ (وراء) نكتة لغوية لطيفة؛ فإذا قصد به الجانب الحسي دل على جهة الخلف، وإذا قصد به الجانب المعنوي دل على جهة الأمام! والإحاطة هنا فيها كلا الجانبين الحسي والمعنوي، حسي بمعنى العذاب، ومعنوي بمعنى العلم والشهود، وبالتالي فكما أحاطوا أنفسهم هم بالتكذيب من كل جانب، فالله تعالى أحاط بهم بقدرته وعلمه وعذابه وانتقامه من كل جانب.

- **خاتمة السورة: الآيات من 21 – 22**

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: 21-22]

هاتان الآيتان تمثلان ختام السورة، وقد ابتدأت الآية الأولى بـ (بل) مرة أخرى؛ والذي يفيد الإضراب، ونتساءل هنا ما المعنى الذي تم الإضراب عنه؟ وما ارتباط (بل) بما سبقها؟

وقد قرأت معظم كلام المفسرين في ذلك، فما وجدت سوى ارتباط (بل) بكلمة (تكذيب) الواردة في المقطع السابق، أي بمعنى: الإضراب عن كفرهم والإبطال لتكذيبهم.

وفي نفسي من ذلك التأويل شيء، والسبب: أن هاتين الآيتين تمثلان ختام السورة، بالتالي فإن ارتباطهما ارتباط كلي بمجموع السورة ومحورها الرئيس وموضوعها العام، وليس ارتباطاً جزئياً فرعياً، وإن كان الارتباط الجزئي الفرعي يصح من باب التناسق والترابط في الآيات، إلا أنه ارتباط ثانوي، أما الارتباط الأساسي فمع محور السورة وموضوعها الكلي – والله أعلم –.

وقد تساءلت عن مرجع الضمير الغائب (هو)، هل يرجع لـ (ما كذبوا به)، أم يرجع لشيء آخر، فجعلت التساؤل مفتوحاً حتى أتبين من موضوع السورة ومحورها، لعلي أجد فيه ما يرضي، خاصة أن الإجابة عن مرجع الضمير تغير في دلالة الآيتين في ختام السورة.

في الآية الأولى جاء وصف القرآن الكريم بأنه (مجيد)، وهو بمعنى علو الشأن ورفعة المقام، وقد تكرر هذا الوصف في هذه السورة – كما مر سابقاً – في قوله تعالى: (ذو العرش المجيد)، وبمراعاة القراءتين في الآية، فإن وصف المجيد كان لثلاثة موصوفات: الله عز وجل، العرش، القرآن الكريم. وهذا مما يثير تساؤلاً عن سبب تكرار هذا الوصف بالذات؟ فنسجل هذا الملحظ في هذه الآية.

وفي الآية الثانية نتساءل عن متعلق شبه الجملة (في لوح محفوظ)، فهل تعود للفظ (القرآن)، أي: القرآن في لوح محفوظ، أم تعود للفظ (هو)، أي: هو في لوح محفوظ. فباعتبار لفظ (هو) عائد على (ما كذبوا به) وهو القرآن، يكون المعنى واحداً، بينما في حال عود الضمير (هو) على شيء آخر فيتغير المعنى تبعاً لذلك.

وفي كلمة (محفوظ) قراءتان؛ (محفوظٍ) بالكسر، فتكون عائدة على كلمة (لوح)، و (محفوظٌ) بالرفع، فتكون عائدة على ضمير (هو) على اختلاف مرجعه كما ذكرنا. فما السر في التعبير بالحفظ هنا بكلا الحالين؟

4– بناء الشجرة الموضوعية لسورة البروج

بعد أن أنهينا الدراسة التحليلية للسورة، وتسجيل جميع الملاحظ التي من شأنها أن تكون عناصر مؤثرة في توجيه موضوعها ومحورها العام – ننتقل في هذا المبحث لمرحلة قطف ثمار الدراسة السابقة، وهي المرحلة التي نحدد فيها موضوع السورة، ونحدد عناصر بناء هذا الموضوع في السورة.

فيكون بالنتيجة لدينا موضوع عام: وهو محور السورة الذي تدور كل موضوعات السورة الجزئية حوله، وتتعاون لبيانه وتجليته، من خلال بيان المناسبات الداخلية والعلائق بين آيات السورة.

ويكون بعد ذلك لدينا موضوعات أو محاور رئيسة للسورة: وهذه المحاور تمثل عناصر بناء موضوع السورة العام، وسنبين – بإذن الله – كيف تعاضد البناء الموضوعي والأسلوبي لكل محور من محاور السورة، لتحقيق الغرض المقصود منه في سياق السورة العام.

ولتحقيق ذلك، فقد جعلت هذا المبحث ضمن مطلبين، كالآتي:

المطلب الأول: طرح الفرضيات للوحدة الموضوعية ومناقشتها، وتحديد محورها العام.

المطلب الثاني: تحديد عناصر بناء موضوع السورة وبيان مناسباتها الداخلية.

1.4– طرح الفرضيات للوحدة الموضوعية ومناقشتها والاختيار

وفي هذه المرحلة سأقوم بتجميع شتات ما وصلت إليه بعد الدراسة التحليلية، ثم محاولة ربط كل الموضوعات في إطار كلي، بمراعاة السمات الأسلوبية والمقاصد الجزئية لكل موضوع.

ومن ضمن هذا المطلب سأتناول الدراسات الموضوعية السابقة، التي تكلمت عن موضوع سورة البروج، سواء كانت دراسات موضوعية متخصصة في هذه السورة، أم كانت أقوالاً لمفسرين وعلماء عن وحدتها الموضوعية، والهدف من ذلك هو اختبار كل قول وكل فرضية، والاطلاع على وجهات النظر، مع مراعاة اختلاف زاوية الرؤية التي بنيت عليها كل فرضية.

وفي ختام المطلب سأقوم باختيار فرضية واحدة لتكون محوراً عاماً للسورة، وتوصيفاً ختامياً لوحدتها الموضوعية بعد اختبار جميع الفرضيات. وقد قمت باستقراء أقوال العلماء

والباحثين حول الوحدة الموضوعية لسورة البروج، وقد اعتمدت على نوعين من المراجع: الأول: أقوال المفسرين خلال تفسيرهم لسورة البروج. الثاني: آراء الباحثين المعاصرين الذين أفردوا سورة البروج بالدراسة الموضوعية في بحث مستقل.

وبعد الاطلاع على أكثر من خمسين تفسيراً للقرآن الكريم، وما تمكنت من الوصول إليه من الأبحاث والرسائل التي درست سورة البروج بشكل خاص، ترشح لي مجموعة من الآراء عن محور السورة العام، سأعرضها بحسب قائليها مع تقديم الأسبق زمنياً، وهي كالآتي:

1. الإمام الرازي (مفاتيح الغيب): تسلية النبي وأصحابه من خلال ذكر النماذج من الأمم السالفة[11].
2. الإمام البقاعي (نظر الدرر): الدلالة على قدرة الله تعالى في تنعيم الولي وتعذيب الشقي، تسلية لقلوب المؤمنين وتثبيتاً لهم على أذى الكافرين[12].
3. الشهيد سيد قطب (في ظلال القرآن وكتاب معالم في الطريق): حادث أصحاب الأخدود، وما تضمنه من رسائل ومعانٍ. (وقد فصل كثيراً حول تلك الرسائل والمعاني في الكتابين المذكورين)[13].
4. محمد عزت دروزة (التفسير الحديث): في السورة حملة على الكفار لاضطهادهم ضعاف المؤمنين والمؤمنات وفتنتهم إياهم عن الإسلام، وإشارة إنذارية إلى حادث مماثل، وتثبيت للمؤمنين وتذكير بمصائر البغاة كفرعون وثمود، وتنويه بقدر القرآن وحفظه[14].

---

11 الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420هـ) 106/31

12 البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415هـ – 1995م) 352/21، 353

13 انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن (دار الشروق – بيروت، ط15، 1408هـ – 1988م) 3871/6. وانظر: قطب، سيد، معالم في الطريق (تحقيق: صلاح الخالدي، دار عمار – عمّان، ط1، 1430هـ – 2009م) ص 224-241

14 دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث (دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، 1383هـ) 143/2

5. محمد حجازي (التفسير الواضح): تسلية للنبي صلّى الله عليه وسلّم وللمؤمنين وتشجيعا لهم على تحملهم أذى قومهم، ثم ضربت لهم الأمثال بأصحاب الأخدود، وفرعون وثمود[15].
6. د. وهبة الزحيلي (التفسير المنير): التضحية في سبيل الإيمان[16].
7. أ. د. مصطفى مسلم وآخرون (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم التابع لمؤتمر الشارقة): الفتن وتسلية المؤمنين بأن ما أصابهم قد أصاب غيرهم ما هو أكثر منه[17].
8. أ. د. سليمان الدقور (ضمن كتاب له لم ينشر بعد، وقد أخذت رأيه مشافهة): الثبات على المبدأ.
9. الباحث إبراهيم البشير (بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير): قصة أصحاب الأخدود وتسلية المؤمنين[18].
10. الباحثة منى الطريلي (رسالة ماجستير): نقلتْ قول د. وهبة الزحيلي[19].

وبعد هذه العملية الاستقرائية؛ يمكننا جمع الأقوال مع بعضها، فيترشح لنا أربعة آراء:

أولاً: الفتن، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

ثانياً: الدلالة على قدرة الله تعالى في تنعيم الولي وتعذيب الشقي.

ثالثاً: التضحية في سبيل الإيمان والثبات على المبدأ.

رابعاً: قصة أصحاب الأخدود، وما حملتها من رسائل ومعانٍ.

وبالنظر لهذه الآراء فإنها – وبلا شك – متضمنة جميعها في سورة البروج، وهي من المقاصد التي أرادت سورة البروج أن تثبتها، ولكن السؤال؛ ما هو الموضوع المحوري من بين

---

15 الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح (دار الجيل الجديد – بيروت، ط10، 1413هـ) 846/3

16 الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (دار الفكر المعاصر – دمشق، ط2، 1418هـ) 152/30

17 مسلم، مصطفى، (وآخرون)، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (كلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، ط1، 1431هـ – 2010م) 87/9

18 البشير، إبراهيم، سورة البروج دراسة تحليلية موضوعية (بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، جامعة المدينة العالمية – ماليزيا، 1432هـ – 2011م) ص 16

19 طريلي، منى، سورة البروج دراسة تحليلية موضوعية (دراسة علمية نالت بها شهادة الماجستير في علوم القرآن والتفسير، جامعة الوادي، 1435هـ – 2014م) ص14

هذه الآراء؛ الذي يصلح أن يكون المرجع لكل موضوعات السورة؟ والمحور الرئيس الذي تلتف جميع مكونات السورة لتأكيده وبيانه؟

وسأطوي الكلام حول نقاش هذه الآراء، مبيناً وجهة نظري عن موضوع السورة ومحورها العام، ولعلي أبين تعليل اختياري لهذا الموضوع ضمن المطلب التالي.

موضوع سورة البروج هو:

تقرير قاعدة عامة وسنة ربانية في بيان مصير المؤمنين المستضعفين والظالمين المعتدين، وأن الجزاء الأوفى لهم لا يتم بصورته النهائية إلا يوم القيامة؛ وأن عدم إيقاع العقوبة بالظالم في الدنيا لا يتنافى مع شهود الله تعالى له وقدرته عليه، بدليل ما وقع من انتقام لأمثاله في الدنيا.

2.4- تحديد عناصر بناء موضوع السورة ومناسباتها الداخلية

ذكرت في ختام المطلب السابق موضوع سورة البروج ومحورها العام، وفي هذا المطلب سأتكلم عن كيفية معالجة السورة لهذا الموضوع، وطريقة عرضها له، وبنائها لمفرداته.

وسأورد آيات السورة هنا حتى يتسنى لنا تقسيم عناصر بناء موضوع السورة على مقاطعها وآياتها:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج: 1-22]

يمثل المقطع الثاني في السورة؛ والذي يتكون من الآيتين (10 و 11)، المقطع المحوري والذي يضم الآية المحورية في السورة، ويتحدث عن تقرير القاعدة العامة والسنة الربانية في بيان مصير المؤمنين والظالمين، وأن الجزاء الأوفى لهم ليس في الدنيا وإنما يوم القيامة.

وذكرت السورة نموذجاً لفئة ظالمة اعتدت على المؤمنين بسبب إيمانهم، وعذبتهم أشد تعذيب ولم ينتقم الله تعالى لهم في الدنيا، مع شناعة ما وقعوا فيه من العذاب، وذلك تأكيداً على موضوع السورة، في أن الحياة الدنيا لا تمثل كامل الصورة، وليس هو نهاية المطاف.

وقد تجلى ذكر هذه الفئة الظالمة الباغية في أشد حالاتها في النموذج الذي بينه المقطع الأول بعد المقدمة من هذه السورة، وهو المقطع الذي ذكر قصة أصحاب الأخدود. ليدل على أن الانتقام الحقيقي ليس في الدنيا وإنما في الآخرة، وليس على المؤمن أن يهتم بالنتيجة الدنيوية التي صار إليها، فهي متروكة لله تعالى يقدرها كيف يشاء، وما عليه إلا أن يقدم نفسه وروحه في سبيل الله، وإن قتل وعذب، والله شاهد عليه.

ومما أراد المقطع أن يؤكده أن وقوع الظلم من الكفرة الظالمين هو في علم الله وتحت شهوده وإحاطته. وأن وقوع الظلم على المؤمنين المظلومين هو كذلك في علم الله وتحت شهوده وإحاطته.

فيفهم من المراقبة الإلهية للظالمين وهم يعذبون المؤمنين ويستلذون بعذابهم، أن هناك قدراً إلهياً وحكمة ربانية، وأنهم لا سبيل لهم عن الخروج عن تلك الحكمة الإلهية والسنة الكونية والقدر الأزلي.

وفي ذلك التأكيد رد ضمني على متشكك ومعترض يتساءل: كيف يرضى الله تعالى إن كان عالماً بكل شيء وقد أحاط علمه بكل شيء – فكيف يرضى بأن يحصل هذا الظلم الشنيع تحت علمه وشهوده؟

فجاء هذا التأكيد ليرد على ذلك الاعتراض، أي فلا يظنن أحد أن عدم تدخل القدرة الإلهية في مثل هذا الحدث ينفي عن الله كونه عليماً محيطاً به شاهداً رقيباً عليه.

وقد اختار الله تعالى هذا الحدث لإثبات الشهود الإلهي لأحداث هذا الكون، ليكون بمثابة الدليل في أبعد ما يمكن أن يكون راداً لشهوده تعالى؛ إذ إن شهود الله العلي القدير للظالمين وهم يُنزلون ألوان العذاب بحزبه وأوليائه المؤمنين، ويستلذون بشهودهم عليه، وما كان عذابهم لهم إلا لأنهم آمنوا بالله، فيكون هذا الحدث بعيداً عن استيعاب من لم يدرك سنة الله تعالى في خلقه وكونه، فيكون هذا الحدث أبلغ ما يكون في وقوع الاعتراض على الشهود

الإلهي بلغة العقل والمنطق – فاختار القرآن هذا الحدث لهذا الاعتبار ليكون راداً لما دونه في المنزلة ولما هو أقل منه في وقوع الاعتراض.

وبعد أن وجَّه المقطع السابق نظر المؤمن ليكون للحياة الآخرة فحسب، وبعد أن حقق الإخلاص في نفسه والفناء عن أي مغنم من مغانم الدنيا، حتى لو كان هذا المغنم هو تحقيق النصر على يديه – يأتي المقطع الثالث من هذه السورة وهو الآيات من (12 – 20) ليذكر ما يطمئن المؤمن فيما يقر عينه في الحياة الدنيا، وقبل الرحيل للآخرة، مقابل ما وقع من ظلم واعتداء عليه.

ففي هذا المقطع تسلية للمؤمنين من عدة جهات:

الأولى: بالتهديد والوعيد على الظالمين المعتدين، وإمكان وقوع الانتقام منهم في الدنيا، فهو تعالى صاحب البطش الشديد، الذي يبدأ كل أمر بإرادته ويعيده بحكمته، وفي ذلك أقصى درجات الوعيد مقابل من تجبر وتكبر، وبغى وطغى، حتى ظن نفسه مالكاً لكل شيء، ولا يعلم أنه ما من شأن من شؤون حياته يبدأ به أو يعيده إلا بإرادة من الله الذي أعطاه القدرة حين أبدأه، وسيحاسبه على اختياره وقراره حين يعيده.

الثانية: بذكر نماذج مضت من الطغاة السابقين، وقد كان مصيرهم في الدنيا الهلاك والعذاب، ولم يكن ختام المشهد في الدنيا كمثل قصة أصحاب الأخدود. وقد ضُرب مثل لذلك في أشد أقوام الأرض ظلماً وقوة وبطشاً؛ قوم فرعون وثمود، وفي ذلك مزيد تطمين لقلوب المؤمنين وتسلية لنفوسهم.

الثالثة: في بيان أن ذلك الانتقام الذي وقع للطغاة السابقين، هو ليس ببعيد عمن حذا حذوهم في الظلم والعدوان إلى قيام الساعة، فإن بدا منهم أي شيء، فالله من ورائهم محيط.

كما أننا نلحظ من هذا المقطع، وخاصة من قوله تعالى: (وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد) تذكير للمؤمنين ببيان طرف من حكمة تعرضهم للشدة في الحياة الدنيا، وتسلية لهم إذ لم يروا الانتقام لهم في الدنيا، وهو ينطبق على حال المؤمنين في قصة الأخدود، وعلى من شابه حالهم في أي زمان ومكان.

فالله هو الغفور؛ يغفر لكم ذنوبكم بكل شدة تعيشونها وبكل عذاب تذوقونه، حتى يلقى المؤمن ربه وليس عليه خطيئة. وهو الودود: الذي سيريكم آثار محبته لكم بالإنعام عليكم

والأنس به تعالى والقرب من حضرته – ما ينسيكم ما تجدونه من شدة وضيق وعذاب، حتى يهون العذاب أمام حلاوة الرضا بقضاء الله، إذ ما كان اختياره إلا لحكمة مطلقة وباللطف الكامل والرحمة التامة. وهو ذو العرش؛ الذي يفيد السعة والأفق الرحب، مقابل ما كنتم فيه من ضيق الأخدود، وشدة الحال. وهو المجيد؛ الذي يفيد الرفعة والعلو والمكانة، مقابل ما عانيتم من ذلة التعذيب، وإذ كنتم في قاع الأرض وأسفل الأخدود.

وبعد هذا الاستعراض لمقاطع السورة الداخلية بقي لنا مقدمة السورة وخاتمتها، ونبينها بالآتي:

جاءت مقدمة السورة لتأكيد موضوعها الأساس ومحورها العام، وتهدف إلى تطمين المؤمن من خلال:

- الاتساع المكاني في الكون والسماء، مقابل الضيق والسجن المادي بصورة الأخدود، والمعنوي بصورة قعود الكفار أمام ما يوقعونه بالمؤمنين وتلذذهم بعذابهم.
- الاتساع الزماني في عدم حصر النظر للحياة الدنيا المؤقتة، والتذكير بتحقيق الوعد الإلهي بقدوم يوم القيامة الذي يقتص الله تعالى فيه للمؤمنين المعذبين.
- الشهود الإلهي لما يحصل للمؤمنين من ظلم وأنه محيط بكل شيء كما تحيط أبراج السماء بالأرض، من خلال: ذكر البروج بصورة حسية للمشاهدة، ومن خلال ذكر الشاهد والمشهود بصورته الغيبية الإيمانية.

وأما ختام السورة قوله تعالى: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ):

يظهر من السياق العام أن ارتباط الإضراب هنا ليس في كلمة (تكذيب) التي سبقته، وإنما بجملة ذهنية مقدرة، يمكن فهمها من مجموع السورة، ولها ارتباط بموضوعها العام، فلعل متشككاً من تلك القاعدة التي جاءت السورة لتثبيتها وتلك السنة الربانية التي أكدتها بقصصها وآياتها؛ في أن مصير المؤمنين للجنة وهم الناجحون الفائزون حتى لو ذاقوا من عذاب الدنيا، وأن الطغاة الظالمين المتكبرين مصيرهم إلى جحيم، حتى لو كانوا في علو وظهور في الدنيا – أقول: جاء الإضراب ليرد على هذا التشكيك؛ (بل هو قرآن مجيد) أي: بل ذلك الأمر مثبت في القرآن باعتباره قاعدة شرعية لن تتغير، وليس ذلك فحسب، بل هو سنة إلهية كونية قدرية، مثبتة (في لوح محفوظ) لا يتغير ولا يتبدل.

وأختم ببيان مقصد السورة وهدايتها العملية وقيمتها الأساسية، وهي:

تسليم الأمر لله والاطمئنان بجنبه وإدراك شهوده.

والفرق بين مقصد السورة وموضوعها؛ أن الموضوع يأخذ الطابع الوصفي الإخباري عن ملخص فكرتها الأساسية. أما المقصد فيكون إنشائياً طلبياً ويركز على جانب الهداية المستفادة والثمرة المرجوة من السورة في الحياة العملية.

ويرتبط اسم السورة (البروج) بهذا المقصد؛ فالبروج هي أشكال أو رسومات وهمية تتشكل من تجمع النجوم في قبة السماء فيما يتراءى للناظر، وهي تحيط بالكرة الأرضية من كل جانب، وتدور دورانها المعروف بسبب دوران الأرض حول الشمس، فتبدو وكأنها عين ناظرة بل قل آلاف العيون التي تراقب مجريات أحداث الكون بكل تفصيلاتها.

وفي ذلك صورة حسية تقريبية لشهود الله تعالى لما يحصل في الكون، ولله المثل الأعلى؛ فهو الخالق وما سواه مخلوق، ولا يحيط به شيء من خلقه، وهو المنزه عن الزمان والمكان. لكن الصورة الحسية تجعل الإنسان يستشعر الشهود الإلهي كلما رفع ببصره إلى السماء، فإذا أدرك أن الله شاهد عليه، اطمأن إلى جنبه تعالى، وسلم أمره إليه. فيتحقق مقصود السورة في واقع الحياة.

3.4- الهدايات الجزئية المستفادة من آيات سورة البروج

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١

- يفيد القسم في بداية السورة أن الله تبارك وتعالى يقسم بما يشاء من مخلوقاته، فهو الحاكم المتصرف بكل شيء، ولا يُسأل عن شيء من أمره والناس يسألون.
- يفيد القسم بالسماء وأنها ذات بروج أنها خلق عظيم من خلق الله تبارك وتعالى، وأن البروج فيها من مظاهر عظمتها بدليل القسم بها.

وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢

- يفيد تعريف كلمة (اليوم) بأهمية ذلك اليوم وخصوصيته، فهو ليس يوماً عادياً كسائر الأيام، وإنما هو اليوم المنتظر، الذي يكون به ظهور الحقائق، بعد انتهاء دار الفناء

في الحياة الدنيا، مما يجعل الإنسان العاقل يستعد لذلك اليوم، ولا يغفل عنه لدنيا زائلة.

- يفيد وصف اليوم الآخر بأنه يوم موعود ضرورة انتظار تحقق ذلك الوعد، بالاستعداد لذلك اليوم، إذ مجيئه وعد محتوم من الله تبارك وتعالى، ووعد الله نافذ لا محالة.

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣

- تفيد هذه الآية أهمية إدراك أمر الشهود في حياة الناس، فعملية الشهود تدل على مراقبة مستمرة لحياة الإنسان على الأرض، وأنه مشهود ومراقَب بكل سكناته وحركاته، وهذا مما يدفع الإنسان ليراقب جميع ما يصدر منه من أفعال وأقوال، وأن يحاسب نفسه قبل يوم الحساب.
- يفيد التركيزُ على أمر الشهادة والشهود؛ التأكيد على عدالة الحساب في الآخرة، فهو ليس حساباً ظالماً أو عشوائياً – حاش لله – بل حساب عادل تمام العدل، لا يتم إلا بوجود الشاهد وإقرار المشهود، حتى إذا لم يقر العبد بما اقترف، فإن الله تعالى يأمر بشاهد عليه من نفسه، فيختم على فمه، وتشهد عليه جوارحه، وهذا من تمام العدل.
- يفيد الشهود العلوي لهذا العبد الضعيف؛ الطمأنينة بجنب الله، والرضا بقضاء الله، فهو العادل الرحيم سبحانه، مما يدفع الإنسان ليقترب من هذا الإله الرحيم، ويسعد بالإيمان به، ولا يخشى شيئاً إلاه.
- يفيد ارتباط أمر الشهود بالحكم والحساب في الآخرة، أهمية أن يكون الحكم في الدنيا حكماً عادلاً مقروناً بالدليل والشهود، وإذا حكم المسلم بين الناس أن يحكم بالعدل.

قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤

- يفيد الدعاء على أصحاب الأخدود من جهة الله تبارك وتعالى أنه أمر محقق نافذ لا محالة، وجيء بالفعل الماضي ليؤكد حصول القتل لهم حين يشاء الله أن يأخذهم بعذاب، وفي ذلك هداية للمؤمن أن يثق بوعد الله للمؤمنين ووعيده على الكافرين الظالمين.

- تفيد الآية شدة العذاب الذي قد يقع به المؤمنون في الحياة الدنيا بسبب إيمانهم، وعليهم مقابل ذلك أن يثبتوا ولا ييأسوا من روح الله.

ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥

- تفيد الآية شدة العذاب الذي قد يقع به المؤمنون في الحياة الدنيا بسبب إيمانهم، وعليهم مقابل ذلك أن يثبتوا ولا ييأسوا من روح الله.

إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦

- تفيد الآية شدة العذاب النفسي الذي قد يقع به المؤمنون في الحياة الدنيا بسبب إيمانهم، بدليل ما كان من قعود الكافرين ليشهدوا تحريق المؤمنين بالنار، وتأكيد وجودهم بضمير (هم)، وعلى المؤمنين مقابل ذلك أن يثبتوا على دينهم ولا ييأسوا من روح الله.

وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧

- يدل وصف المؤمنين بصفة الإيمان أن سبب الاعتداء عليهم وسبب الفتنة التي وقعوا فيها هي بسبب إيمانهم، وفي ذلك هداية للمؤمن أن يثبت على إيمانه، وأن يكون ولاؤه للمؤمنين وبراؤه من الكافرين، وأن يصحح تصوره حول طبيعة الصراع بين الحق والباطل والإيمان والكفر، وأن مدار الصراع هو حول العقيدة والإيمان.

وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨

- تؤكد هذه الآية ما يستفاد من الآية السابقة من بناء التصور السليم حول طبيعة الصراع بين الحق والباطل، وأن مدار الصراع وسبب اعتداء الكافرين على المسلمين هو بسبب إيمانهم، مما يدعوهم للثبات على دينهم.
- ذكر لفظ الجلالة (الله) وتعليق الإيمان به؛ يدعو المؤمن لأن يعتز بإيمانه، إذ قد آمن بالله المستحق للعبادة، مَن ليس كمثله شيء، وهو الواحد الذي لا ثاني له.
- ذكر اسم الله (العزيز) يفيد الثقة بالله تعالى بأنه يُعز من آمن به، في سياق تعذيب المؤمنين بسبب إيمانهم، ففيه هداية للمؤمن إذا وقع في الظلم والفتنة بسبب إيمانه، بأن يبقى عزيزاً شامخاً لا يتنازل عن مبدئه، ولا يخضع لأحد إلا لمولاه العزيز.

- ذكر اسم الله (الحميد) يفيد الثقة بالله تعالى بأنه يجازي من أحسن له بخير الجزاء، فيمنح المؤمن ثباتاً على موقفه لأن الله تعالى لن يضيع جهده وإيمانه بل سيجازيه عليه، إن لم يكن في الدنيا، ففي دار القرار في الجنة.

ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩

- ذكر وصف الله تعالى بأن له ملك السموات والأرض يمنح المؤمن الثقة بالله تعالى بأنه صاحب الأمر والحكم مطلقاً، فليس من أحد من خلقه يخرج عن أرضه وسمائه، فالكل محكوم داخل مملكته، وارتباط المؤمن بمن يملك كل شيء وتحت حكمه كل مكان؛ يعطيه قوة وعزة وثباتاً.
- يدل حرف الجر (على) على الاستعلاء، وتعلقه بشهود الله على كل شيء يفيد تعظيم الله تبارك وتعالى، والإعلاء من شأنه والتواضع لعظمته والخضوع لحكمه، فهو المهيمن وصاحب المجد والرفعة، ويفيد أيضاً الاعتزاز بقربه، واستشعار الرفعة بالإيمان به، والإحساس بالقوة نتيجة التعلق بهذا الإله العظيم.
- يفيد وصف الله تعالى بأنه شهيد على كل شيء؛ استشعار رقابة الله تعالى للإنسان، مما يولد خوفاً من معصيته، وسعياً لإرضائه وطاعته، وأنساً بقربه وحبه، فيرتقي المؤمن في درجات الإيمان.
- يفيد وصف الله تعالى بأنه شهيد في سياق فتنة المؤمنين عن دينهم؛ تثبيت المؤمنين على عقيدتهم وعدم تنازلهم عن مبدئهم، فمن آمنوا به وعذبوا بسبب إيمانهم به، شهيد على ما وقع عليهم من عذاب وفتنة، وسيجازي الظالم، وينتقم للمظلوم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠

- قوله تعالى: (ثم لم يتوبوا) وتعلق التوبة بالذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، فيه دلالة على عظيم رحمة الله تبارك وتعالى وجميل عفوه، فالله يغفر للكافر الظالم المعتدي إن هو تاب وآمن، ففي ذلك هداية مباشرة للكافر الظالم أن يتوب، وإذا كان ذلك في حق الكافر الظالم فهو في حق المؤمن أولى وأقرب.
- وقوع التوبة من الله على الكافر الظالم المعتدي دلالة على عظيم كرم الله تعالى، وواسع حلمه، وجميل تعامله. والإله الذي هذا شأنه يستحق العبادة والحب، فحري

بالإنسان أن يتوجه إليه وحده، وأن يحبه ويتقرب منه، وأن يعتز بإيمانه به وانتسابه إليه.

- قد تحصل التوبة على من فتن المؤمنين والمؤمنات، فيكون الظالم قد تخلى عن ظلمه وتاب الله عليه، فيدخل في صف المؤمنين بجوار من وقع ظلمه عليهم، وليس على المؤمن أن يأخذ ثأره منه بعد أن قبل الله توبته، وفي ذلك إشارة إلى أن المؤمن العامل لدين الله هو أجير عند الله، يأخذ أجره وثوابه من الله مقابل عمله وإيمانه، ولا يطالب بحق مقابل عمله إلا من الله تعالى.
- وقوع الفاء العاطفة التي تفيد التعقيب السريع، فيها دلالة على سرعة إيقاع الله تبارك وتعالى عذابَه على مستحِقِّه، وفي ذلك هداية للظالم أن يرجع عن ظلمه وغيه، وهداية للمظلوم ألا ييأس من قدرة الله تعالى الذي سينتقم له، فيطمئن بجنبه، ويأنس بقربه.
- تقديم الجار والمجرور (لهم) في الجملتين؛ فيه دلالة على مزيد اهتمام بمن سيقع عليهم العذاب، وذلك للفت انتباههم لما سينالهم في الآخرة جزاء صنيعهم، ولعل ذلك التنبيه يكون هداية لهم ليرجعوا قبل أن لا يملكوا الرجوع.
- تكرار جملة العذاب، وإضافة العذاب إلى (جهنم) وإلى (الحريق) فيه زيادة تهويل من شدة العذاب وفظاعته، وفي ذلك تحذير للظالمين المعتدين لعلهم يرجعون، وتسلية للمظلومين الذين وقع عليهم الظلم وتخفيف لمصابهم.
- كما أن في تكرار (عذاب الحريق) بمقابلة ما وقع من (عذاب الحريق) بالمؤمنين في قصة الأخدود؛ إشارة إلى تسلية المظلومين وأن الله تعالى سيعاقب من ظلموهم أضعاف ذلك العذاب الذي وقع عليهم في الدنيا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١

- في الآية تأكيد على أن الإيمان مقرون بالعمل الصالح، فهو ليس تصديقاً بالقلب فقط، وإنما لا بد أن يوافقه العمل الصالح.
- تقديم الجار والمجرور (لهم)؛ فيه دلالة على مزيد اهتمام بمن سيدخله الله الجنة؛ وهم المؤمنون به عموماً، والذين فُتنوا بسبب إيمانهم بشكل خاص بما دل عليه السياق،

وذلك للفت انتباههم لما استحقوا به الكرامة من عند الله تعالى، فهم ذو شأن عظيم عنده سبحانه، فيكون ذلك هداية لهم ليثبتوا على دينهم ويزيدوا من إيمانهم ويتقربوا من ربهم ويرضوا بحكمه ويطمئنوا بجنبه.

- ذكر الجنات بلفظ الجمع، وزيادة وصفها بأنها (تجري من تحتها الأنهار) فيه تعظيم لشأنها، وتشويق لمن أراد أن يدخلها، فيبعث في نفس المؤمن السعادة في الحياة الدنيا لما ينتظره من نعيم في الآخرة، ويكون تسلية له مما يجد من بلاء في الدنيا.
- التعقيب بعد ذكر نعيم الجنة بقوله: (ذلك الفوز الكبير) مع تعريف جزأي الجملة؛ فيه دلالة على أن ذلك الفوز هو الفوز، وما عداه ليس بفوز، بالإضافة إلى وصفه بـ (الكبير)؛ ففيه هداية للمؤمن ليسعى في الحياة الدنيا لتحقيق ذلك الفوز، وسلوك سبيله وما يوصل إليه، وألا يرى في أي نجاح دنيوي مؤقت فوزاً حقيقياً يوازي فوز الآخرة ونعيم الجنة.

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

- في الآية تخويف من عذاب الله تبارك وتعالى، يتمثل بحرف (إن) المشدد الذي يفيد تأكيد ما بعده، واستعمال لفظة (بطش) التي فيها من القوة والسرعة والغلظة، ووصف البطش بالشديد، مع اقتران الخبر باللام التي تفيد التأكيد؛ وفي ذلك هداية للناس أن يحذروا من ذلك العذاب ويجتنبوا ما يقرب إليه.
- لم تذكر الآية أن ذلك البطش سيكون في الآخرة، فيؤخذ اللفظ على عمومه؛ في الدنيا والآخرة، وفي ذلك إشارة للظالم المعتدي أن عذاب الله تعالى قد يقع عليه في الدنيا فينتقم منه عاجلاً، أو يؤخره إلى يوم القيامة، وفي ذلك مزيد تحذير له أن العذاب قد يقع عليه عاجلاً لا آجلاً.
- وفي الآية أيضاً تطمين وإيناس للمظلومين في الدنيا، إذ سينتقم الله تعالى لهم ببطشه الشديد لمن ظلموا واعتدوا سواء في الدنيا أم في الآخرة.
- في ورود لفظ (رب) دون غيره من الأسماء، وإضافته لكاف الخطاب التي تعود على النبي صلى الله عليه وسلم، يشير إلى مزيد اهتمام وتعظيم لشأن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه بموقع كريم عند ربه، وأنه تعالى سيوقع بمن آذاه وظلمه أشد العذاب،

وفيه لطف جميل في مخاطبته تعالى لنبيه الكريم؛ فيرشد ذلك إلى تعظيم شأنه صلى الله عليه وسلم، ولزوم السير على نهجه، والانتساب لدينه، والسير على سنته، مما قد يُنال به العلو والرفعة في المقام عند الله تعالى.

- في ورود لفظ (رب) الذي يفيد الرعاية والعناية والقيومية؛ تأنيس للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم وللدعاة من بعده، ولكل مظلوم ومفتون بسبب دينه، ففي ذلك تحبب من الله تعالى لمن آمن به وعمل في سبيل دينه، مما يدعو لزيادة محبة هذا الإله العظيم، والأنس بقربه والاطمئنان بجنبه.

إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾

- في لفظ (يبدئ) معنى الإذن والإرادة المطلقة ببدء كل شيء، وفي لفظ (يعيد) معنى الإرادة المطلقة بإعادة كل شيء كما بدأ، وفي ذلك إحاطة تامة بكل ما يحصل في الكون، فالله هو المتصرف الحاكم لكل شيء؛ وفي ذلك هداية للإنسان ألا يخرج عن طاعة ذلك الإله، إذ كل ما في حياة الإنسان ملك لذلك الإله العظيم وتحت تصرفه، ولا يخرج شيء عن إرادته ومشيئته.
- قيل في معنى (يبدئ ويعيد): أي يبدئ الحياة في الدنيا ويعيدها في الآخرة، وقيل: يبدئ العذاب في الدنيا ويعيده في الآخرة، وفي كلا المعنيين تهديد ووعيد بمن كذب بآيات الله، وظلم عباد الله، وفتنهم عن دينهم؛ لعله يتوب ويرجع، وكذا فيهما تسلية للمؤمنين والمظلومين بمجيئ اليوم الذي يُنصَفون فيه، ويؤخذ لهم الحق فيه ممن ظلمهم، فيرشدهم ليثبتوا على طريقهم، ويزيدوا قرباً من ربهم.
- على المؤمن أن يكون موقناً بالله تعالى وبإرادته المطلقة وإحاطته لكل شيء، فيطمئن بجنب الله الذي بيده كل شيء، ويطمئن بقربه. وفي الآية تسلية للمؤمن مما قد يقع به من شدة وظلم وابتلاء.

وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾

- الآية تدل على سعة رحمة الله تعالى، وعلى عظيم عفوه، وجميل وده؛ فهو يغفر ذنوب عبده جميعاً إن هو تاب وأناب، وفي ذلك إرشاد للإنسان أن يقبل على الله تعالى ويطلب مغفرته ويخطب وده، ولا شيء يحول بين العبد ومولاه؛ سواء أكان

مؤمناً أم كافراً، مطيعاً أم عاصياً، مظلوماً أم ظالماً؛ فهي رسالة لكل هؤلاء أن لا يجعلوا حاجزاً بينهم وبين التوبة إلى الله.

- ذكر صفة (الغفور) في سياق وقوع الظلم على المؤمنين بربهم؛ فيها إشارة إلى أن الله تعالى يغفر لعبده المؤمن ذنوبه بكل شدة يعيشها وبكل ألم يحس به وبكل ظلم يناله، حتى يلقى الله تعالى وليس عليه خطيئة؛ فيبعث ذلك في نفس المؤمن قوة في دين الله، ويستحلي البلاء والعذاب إن كان في سبيل الله.
- ذكر صفة (الودود) في سياق وقوع الظلم على المؤمنين بربهم؛ فيها إشارة إلى أن الله تعالى سيجازي من آمن به وابتلي في سبيله خير الجزاء، فهو الودود الذي يمنح من يحبه من عطاياه ويجزل له من نعماه.

ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾

- وصف الله تعالى بأنه (ذو العرش) فيه دلالة على عظمته تعالى وسعة علمه وإحاطته لكل شيء، وفي ذلك هداية للمؤمن به أن يستشعر عظمة الله تعالى، وأن يخضع لحكمه ويستجيب لأمره ويستمسك بعراه، وأن يطمئن بجنبه ويفخر بانتسابه إليه.
- وصف الله تعالى بأنه (المجيد) فيه دلالة على رفعة شأنه تعالى وعلو مقامه؛ وفي ذلك هداية للمؤمن به أن يعتز بدينه ويستعلي بإيمانه وأن يتواضع لمولاه صاحب المجد والرفعة، وألا يضيق إن وقع في البلاء وذل الأسر، بل يبقى شامخاً رافعاً رأسه أمام سجانه
- في الآية توسيع لإدراك المؤمن الذي فُتن بسبب دينه، ووقع في المحنة، ومن ضاقت عليه الدنيا بما أصابه من بلاء، فيدرك عظمة العرش ومجده وعلوه (بدلالة القراءة الثانية) واتساع الكون والأفق البعيد للسماء، فيخرج بنفسه من السجن الضيق الذي حُبس فيه، ومن الأخدود الذي عُذِّب فيه، إلى الفضاء الرحب الوسيع، فتطير نفسه في آفاق الكون، بينما جسده ما زال في ضيق ومحنة، فيتسلى بذلك عن ضيقه ومحنته، فيكون أدعى لثباته على دينه.

فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

- في الآية تطمين للمؤمن المظلوم وتحذير للظالم المعتدي، فالله قادر على تنفيذ وعده، وإنفاذ وعيده. واستخدم صيغة المبالغة (فعال) لتأكيد ذلك المعنى؛ وفي ذلك هداية للمؤمن أن يسعد ويطمئن بوعد الله، وهداية للكافر أن يحذر من عذاب الله، فيعود ويتوب من ظلمه وطغيانه.

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧

- الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللأمة من بعده، ليطمئنه الله تعالى بوقوع العقاب العاجل في الدنيا على فئة ممن طغت وظلمت، فيكون ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وللدعاة لدين الله بإمكان انتقام الله لهم من عدوهم في الدنيا قبل الآخرة.
- في لفظ (حديث) تأكيد لهوان أمرهم على الله، فهم صاروا مجرد حديث ينقل، وقد دمر الله قوتهم وأهلك جندهم واندثر جبروتهم، فما بقي منهم إلا قصص تروى وأحاديث تحكى؛ وفي ذلك هداية للمؤمن ليطمئن بجنب الله ويدرك قوة الله وعظمته، فيُقبل على دعوة الله من دون تردد، ويحمل كتاب الله بقوة.
- لفظة (الجنود) فيها تأكيد لقوة هؤلاء، إذ إن من أهلكهم الله تعالى وصاروا أحاديث ليسوا أناساً عاديين من عامة الشعب، وإنما هم جنود مهيؤون للمواجهة ومدربون على القتال وأصحاب قوة وشكيمة؛ فإذا كان فعل الله تعالى بالجنود هكذا، فكيف بمن دونهم؛ وفي ذلك بيان لعظمة الله تعالى وقوته، ودعوة للمؤمنين ليكونوا مع الله تعالى ليكون الله معهم.

فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨

- ذكر الله تعالى في هذه الآية من هم الجنود الذين أهلكهم بقوته، ولعل سبب اختيار هؤلاء قوتهم وجبروتهم وعدتهم التي كانوا يتباهون، فكانت النتيجة هلاكهم وتدميرهم، وقد ذكرهم الله تعالى بكلمتين فقط، وكأن هاتين الحضارتين والقوتين العظيمتين لا تساويان شيئاً في ميزان الله، وفي ذلك إشارة إلى هوانهم على الله؛ وفي كل ما سبق هداية للمؤمن أن يعتمد على الله مهما بلغت قوة عدوه، ومهما وصل

بتبجحه وجبروته، وكذا فيها هداية للكافر إذا سمع القرآن ألا يستعلي بقوته، فإن الله تعالى قد أهلك من هم أشد منه قوة.

بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ۝١٩

- يلتفت السياق القرآني لأهل مكة من المشركين، الذين كان الأولى بهم بعد سماع هذه الآيات، وبعد رؤية إهلاك الظالمين أن يؤمنوا بالله ويصدقوا بنبيه وكتابه، ولكنهم آثروا الكفر على الإيمان، بل تجاوزوا ذلك إلى التكذيب، وهم داخلون فيه وهو محيط بهم، إشارة لعنادهم وكبرهم، بعد أن سمعوا الآيات، وقد جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً؛ وفي ذلك تنفير من حالهم، ودعوة لأهل العقول السليمة أن يستمعوا لهذا القرآن من دون مقرر مسبق، وأن لا يحكموا بكذبه دون أن يتدبروا آياته، فلعله يكون سبباً لنجاتهم.
- وفي الآية بيان لأهل الإيمان عن طبيعة فئة من أهل الكفر المعاندين، الذين لن يستجيبوا لأمر الله تعالى مهما كان من القوة والعظمة والبيان؛ وألا ييأس المؤمنون في مواجهة هؤلاء، وأن يتعاملوا معهم بما يناسب حالهم من العناد والتبجح والتكذيب.

وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ۝٢٠

- في الآية تطمين للمؤمنين وتحذير للكافرين الظالمين المكذبين؛ فالله بعظمته وقوته محيط بهم من كل جانب؛ بعذابه لهم وقدرته عليهم وعلمه بهم؛ وفي ذلك زيادة تخويف لهم أن لا مفر من الله إلا إليه، لعلهم يرجعون، وفي الآية هداية للمؤمن أن يستمسك بهذا الدين ويدرك عظمة الله ويطمئن بجنبه ويعتز بالانتساب إليه.

بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ۝٢١

- أي لا يظنن أحد أن إمهال الله للكافرين وعدم بطشه بهم في الدنيا، يخالف منهج الله وسنته في خلقه، ولا يظنن الكافرون أن إمهالهم هو إهمال لهم، بل إن الله لهم بالمرصاد، وينتظرهم عذاب أليم، إلا أن الصورة لم تكتمل بعد في الحياة الدنيا، ولا تتم الصورة إلا يوم الحساب، وذلك سنة إلهية شرعية ووعد من الله في قرآن مجيد، وفي ذلك تيئيس للظالمين المكذبين وإشارة لهم لئلا يفرحوا بنصر مؤقت زائل، وأنهم

ينتظرهم عذاب أليم، وفيه أيضاً تطمين للمظلومين الذين لم ينتقم الله لهم من عدوهم في الحياة الدنيا، بأن ذلك وفق سنة إلهية شرعية، وأن وعده تعالى للمؤمنين إما بالنصر في الدنيا، أو بالنعيم في الجنة، ووعد الله منجز نافذ.

- وصف القرآن بأنه مجيد، أي صاحب علو ومجد ورفعة، في مقامه ومكانه ومكانته وأحكامه وسننه، فلا يستطيع أحد أن ينزل من مقامه وعلو شأنه، ولا أن يبدل فيها ولا أن يغير سنة الله، والقرآن كذلك رفعة لأهله والداعين من أجله، فهم أهل الله وخاصته، وهو يحفظهم بحفظه ويُسعدهم بالجزاء الحسن يوم القيامة.

فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢

- دلالة إلى أن تلك السنة التي أرادها الله تعالى في خلقه، هي محفوظة في مكان لا يتغير ولا يتبدل، في اللوح المحفوظ الذي كتب الله تعالى فيه كل ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة؛ وفي ذلك إشارة وهداية للمؤمن أن يرضى بقضاء الله، ويطمئن بحكم الله، فلا يتوكل إلا على الله.

5- الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات

النتائج

- موضوع سورة البروج ومحورها العام هو:

تقرير قاعدة عامة وسنة ربانية في بيان مصير المؤمنين المستضعفين والظالمين المعتدين، وأن الجزاء الأوفى لهم لا يتم بصورته النهائية إلا يوم القيامة؛ وأن عدم إيقاع العقوبة بالظالم في الدنيا لا يتنافى مع شهود الله تعالى له وقدرته عليه، بدليل ما وقع من انتقام لأمثاله في الدنيا.

- مقصد سورة البروج ورسالتها وهدايتها الخاصة:

تسليم الأمر لله والاطمئنان بجنبه وإدراك شهوده.

- الفرق بين مقصد السورة وموضوعها؛ أن الموضوع يأخذ الطابع الوصفي الإخباري عن ملخص فكرتها الأساسية. أما المقصد فيكون إنشائياً طلبياً ويركز على جانب الهداية المستفادة والثمرة المرجوة من السورة في الحياة العملية.
- يرتبط اسم السورة (البروج) بتوجيه الإنسان إلى إدراك شهود الله تعالى له، من خلال الصورة الحسية التي تمثلها إحاطة الكرة الأرضية بأبراج السماء من كل جانب، وكأنها ترقب أحداث الكون وحياة الناس بجميع تفاصيلها.

التوصيات

- الاهتمام في جانب التفسير الموضوعي لم يكن عند السابقين، وبالرغم من انتشاره في الوقت الحاضر بين الباحثين وطلاب الدراسات العليا والجامعات في كثير من الجهود الأكاديمية – إلا أنه يتم في معظم الحالات بطريقة غير منهجية، وتقوم على الربط المباشر بين الآيات، من غير إحكام لأسباب الترابط والمناسبات والعلائق بين مفردات السورة.
- على الدارسين في مجال القرآن الكريم التوجه نحو بناء الوحدة الموضوعية للسور القرآنية، وأعتقد أنه أمر عظيم جلل؛ يحتاج جهوداً مضنية وأوقاتاً كثيرة لبناء منظومة أفكاره، وتجلية أسرار بيانه، وصولاً لتشييد منظومة البناء الحضاري للفرد المسلم، والأمة المسلمة، كما أرادها القرآن.
- أوصي الدارسين في ميدان الوحدة الموضوعية للسور القرآنية عدم الالتفات للكم، فالمهم هو النوع، وجودة الإنتاج، ولا داعي للعجلة في هذا الميدان.

المراجع والمصادر:

REFERENCE

Abī ʻAbd Allāh Muḥammad bin ʻUmar bin al-Ḥasan bin al-Ḥusīn al-Tīmī al-Rāzī al-Mulaqqab bi Fakhr al-Dīn al-Rāzī Khaṭīb al-Rai (1999) *Mafātīh al-Ghaib: al-Tafsīr al-Kabīr*, (3rd ed) Beirūt: Dār Ihyā' al-Turāth al-ʻArabī.

Abū al-Ḥasan, Burhān al-Dīn Ibrāhīm bin ʻUmar al-Baqā'ī. (1995) *Tafsīr al-Baqa'ī: Naẓam al-Darar fī Tanāsib al-Āyāt wa al-Suwar*.

Tahqīq: ʻAbd al-Razāk Ghālib al-Mahdī. Beirūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah.

Abū al-Qāsim Maḥmūd bin ʻAmrū bin Aḥmad al-Zamakhsyarī Jār Allāh (1987). *Al-Kasyāf ʻan Ḥaqāiq Ghawāmiḍ al-Tanzīl.* (3rd ed) Beirūt: Dār al-Kitāb al-ʻArabī.

al-Alūsī, Syihāb al-Dīn Maḥmūd bin ʻAbd Allāh. (1993) *Rūḥ al-Maʼānī fī Tafsīr al-Qurʼān al-ʻAẓīm wa al-Sabʼu al-Mathānī.* Taḥqīq: ʻAlī ʻAbd al-Bārī ʻAṭiyyah, (1st ed) Beirūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah.

Al-Basyīr, Ibrahīm, (2011) *Surah al-Burūj Dirāsah Taḥliliah Mauḍuʼiyah: Bahs takmīlī linail darjah al-Majistīr.* Mālizia: Jāmiʼah al-Madīnah al-ʻĀlamiyyah.

al-Qurṭubī, Abū ʻAbd Allāh Muḥammad bin Aḥmad bin Abī Bakr Syams al-Dīn, (1964) *Al-Jāmiʼ li Ahkām al-Qurʼān: Tafsīr al-Qurṭubī.* Taḥqīq: Aḥmad al-Bardūnī wa Ibrāhīm Aṭfisy. (2nd ed) Miṣr: Dār al-Kutub.

Al-Suyūṭī, ʻAbd al-Rahman bin Abī Bakr Jalāl al-Dīn, (1974). *Al-Itqān fī ʻUlūm al-Qurʼān.* Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl. Miṣr: Al-Haiʼah al-Misriyyah al-ʻĀmah li Kitāb.

Al-Ṭabarī, Muḥammad bin Jarīr bin Abū Jaʼfar., (2000). *Jāmiʼ al-Bayān fī Taʼwīl al-Qurʼān,* Taḥqīq: Aḥmad Muḥammad Syākir. (1st ed) Beirūt: Muassasah al-Risālah.

Al-Zarkasyī, Badr Al-Dīn. (1957). *Al-Burhān fī ʻUlūm al-Qurʼān.* Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl. al-Qāheraẖ: Dār Ihyāʼ al-Kutub al-ʻArabiyyah.

Al-Zuḥaylī, Wahbah Ibn Muṣṭafā. (1418H). *al-Tafsīr al-Munīr Fī al-ʿAqīdah Wa-al-Sharīʿah Wa-al-Manhaj*, (2nd ed) Damshiq: Dār al-Fikr al-Maʿāṣir.

Darwazat Muḥammad ʻIzzat, (1963) *Al-Tafsīr al-Ḥadīs,* al-Qāheraẖ: Dār ʼIḥyāʼ al-Kutūb al-ʻArabiyyaṯ.

Hijāzī, Muḥammad Maḥmūd. (1993). *Al-Tafsīr al-Wāḍih.* (10thed) Beirūt: Dār al-Jil al-Jadīd.

Ibnu ʻĀsyūr, Muḥammad al-Ṭāhir bin Muhammad bin Muhammad al-Ṭāhir Āsyūr al-Tunisi(1984). *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr.* (1st ed) Tūnis: al-Dār al-Tūnisiyyah li Nasyr.

Muslim, Muṣṭafā (Wa Ākharūn) (2010) *al-Tafsīr al-Mauḍū'ī Lisūr al-Qurān al-Karīm.* (1st ed) Jāmi'ah al-Syāriqah: Kuliyyah al-Dirasat al'Ulya wa al-Bahs al-'Ilmī,

Qutb, Said, (1988) *Fī Ẓilal al-Qurān* (15th ed) Beirūt: Dār al-Syurūq.

Qutb, Said, (2009) *Ma'ālim fī al-Ṭorīq*, Taḥqīq: Ṣāleh al-Khālidī. (1st ed) Amman: Dār al-'Umār

Sa'id. Muhammad Raafat, (n.d) *Tārikh Nuzul al-Quran al-Karīm*.

Ṭorīlī, Mina, (2014) *Surah al-Burūj Dirasah Tahliliah Mauḍū'īyyah*, Jāmi'ah al-Wādi: Dirasah 'Ilmiyyah al-Majester fī 'Ulūm al-Quran wa al-Tafsīr,